البعد الاجتماعي في قصة أصحاب الجنة في القرآن الكريم

م. ناصر يوسف عبدالله

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم علوم القرآن و التربية الاسلامية

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٧/٣٠ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/١٠/٣١)

ملخص البحث:

هذا البحث يتحدث عن (البعد الاجتماعي في قصة أصحاب الجنة في القران الكريم), وهي قصة أب صالح يملك بستاناً، يتصدق من ثماره كلَّ عام على الفقراء والمساكين. لم يعجب هذا الفعل أبناءه , فلما توفي الأب وورث الأبناء البستان، اتفقوا على منع الفقراء حقهم، فأحرق الله جنتهم جزاء على فعلهم هذا، هذه القصة لها ابعاد اجتماعية متعددة، سلطنا الضوء عليها في مستوياتها جميعاً, المستوى التربوي ، المستوى الاجتماعي , المستوى الإيماني. ففي المستوي التربوي يتحدث البحث عن العلاقة بين الآباء والأبناء, وتأثيرها على دوام النعم ونزول النقم. وفي المستوى الاجتماعي تطرح القصة قضية التكافل المجتمعي من خلال شعور الأغنياء بحال الفقراء. وفي المستوى الايماني يعالج البحث كيفية التعامل مع الابتلاءات والاختبارات, وأثر التوبة في صلاح الفرد والمجتمع. وتوصل البحث الى العديد من النتائج ضمنها في خاتمته.

Abstract:

This research talks about the social dimension in the story of The Owners of Paradise in The Holly Quran in its various levels – educational level, communal level, the level of faith-. In the educational level the research talks about the relationship between the parents and the children and its effect on the existence of graces or the happening of the problems. In the communal level the research talks about the importance of the social solidarity between the members of the community and the feeling of the riches towards the situation of the poor people. In addition, in the level of faith the research explains how to deal with woes and tests and the effect of repentance on the individual and the society. The research has a lot of results the most important one is that the purpose of the creation of human being is that God The Great afflicts him/her in life. The most difficult type of ordeal is testing by money if he/she thanks God The Great and spends the money in the satisfactory of God The Great or he/she becomes stingy.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: إن خير الكلام كلام رب العالمين ، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ , وبهما تمسكت الأمة وتماسكت قديما، وهما سبيل نجاتها في سائر الأزمان والأحوال. ولا خلاص لهذه الأمة من هذا الواقع المرير الذي تعيشه، والبؤس الذي تحياه، حتى تعود كما كانت خير أمة أخرجت للناس، إلا بأن تجعل القرآن الكريم سبيل نجاتها، ومنار هدايتها, قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [1]. والاستفادة الحقّة من كتاب الله ﷻ لا تكون إلا بتدبره وتأمله, والتفكر فيه, وفهم معانيه, وادراك مقاصده, وسننه وقوانينه في الأفراد والشعوب والأمم.

سبب اختيار العنوان:

وقع الاختيار على دراسة (قصة أصحاب الجنة في القران الكريم) الواردة في سورة القلم؛ لما فيها من أبعاد اجتماعية في مستويات عِدّة , ودروس وعبر وعظات لا يستغني عنها أي مسلم، وتحتاجها الأمة في تحقيق ذاتها، والعودة الى عزها ومجدها . فجاء عنوان البحث ناطقاً بمضمونه, ومُدرِكاً لغايته وأهدافه, فكان:(البعد الاجتماعي في قصة أصحاب الجنة في القران الكريم) .

منهجية البحث:

اعتمدنا في كتابة البحث على الوقوف مع الآيات الكريمات, ومحاولة فهمها, وادراك دلالاتها, وأبعادها الاجتماعية , مستعينين بالمصادر القديمة، والمراجع الحديثة. فبدأت الرحلة مع التفاسير قَدِيمها وحَدِيثها، لفهم المراد من الآيات، وما فيها من أبعاد ودلالات. منتقلين بعدها لكتب القصص القرآني متأملين فيها, وآخذين منها . بالإضافة الى العديد من المصادر والمراجع الاخرى من كتب الحديث واللغة والفكر؛ عَلَّها تمنحنا اشارات نهتدي بها, أو اسقاطات على الواقع نستفيد منها, ونستعين بها في إثراء البحث، مُبيّنين مصادرنا ومراجعنا في الهامش. لكن يبقى القران الكريم المصدر الأساس والمرجع الأول, وما سواه تبع، فخير ما

[1] طه: ١٢٤-١٢٦.

فسر به القران هو القران نفسه. فحاولنا الربط بين معطيات الآيات والواقع المعاش, مستعينين بتفسير القران بالقران.

خطة البحث : اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، على النحو الاتي:

المقدمة: تضمنت سبب اختيار العنوان, ومدى أهميته, والمنهج المتبع في كتابة البحث.

المبحث الاول: البيان القرآني لقصة أصحاب الجنة. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الاول: نظرة عامة في سورة القلم

المطلب الثاني: قصة أصحاب الجنة

المطلب الثالث: التفسير الاجمالي للآيات الواردة في أصحاب الجنة

المطلب الرابع: ارتباط قصة أصحاب الجنة بمحور السورة

المبحث الثاني: الابعاد الاجتماعية في قصة أصحاب الجنة. وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الاول:

المستوى التربوي: العلاقة بين الابناء والآباء .

المطلب الثاني: المستوى المجتمعي: التكافل المجتمعي وشعور الاغنياء بالفقراء . المطلب الثالث: المستوى الإيماني: كيفية التعامل مع الابتلاءات والاختبارات.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

وختاماً: لا أدعي الكمال لهذا البحث, فالنقص ديدن الانسان, والكمال لله وحده, ولكنها محاولة لبيان أبعاد القصص القرآني والدروس المستفادة منه، فإن أصبت فبتوفيق من الله, وإن أخطأت فمن نفسي واستغفر الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

البيان القرآني لقصة أصحاب الجنة

يتناول هذا المبحث دراسة الاطار العام لسورة القلم التي وردت فيها قصة أصحاب الجنة, والمتمثل ببيان اسم السورة , وسبب تسميتها, وبيان فضلها, ومكيتها ، وعدد آياتها, ومحاورها ليكون اساساً للانطلاق الى دراسة قصة أصحاب الجنة الواردة فيها .

المطلب الأول: نظرة عامة في سورة القلم

اسم السورة وسبب التسمية: تعددت أسماء هذه السورة عند العلماء والمفسرين, فمنهم من سمّاها سورة القلم, ومنهم من سمّاها

سورة (ن), وآخرون سمّوها سورة (ن والقلم), ويمكن بيان ذلك كما يأتي:

١- سورة القلم: " سميت سورة القلم لافتتاحها بما أقسم الله تعالى به" [٢]؛ لأن الله جل شأنه أقسم فيها بأداة الكتابة وهي (القلم), وعنونها بذلك جمع غفير من المفسرين .

٢- سورة (ن): قال ابن عاشور" وترجمها الترمذي في جامعه, وبعض المفسرين سورة (ن) بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة ص، وسورة ق" [٣] .

٣- سورة (ن والقلم):" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي مُعْظَمِ التَّفَاسِيرِ وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» سُورَةَ (ن وَالْقَلَمِ) عَلَى حِكَايَةِ اللَّفْظَيْنِ الْوَاقِعَيْنِ فِي أَوَّلِهَا، أَيْ سُورَةُ هَذَا اللَّفْظِ" [٤] .

فضل السورة : هذه السورة من المفصل[٥], ومما ورد في فضائل المفصل: ما رواه الامام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل» [٦] .

مكيتها وعدد آياتها: سورة القلم مكية, وقد أكد مكيتها صاحب البحر فقال:" هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ. . وَلَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ" [٧] . وفي الإتقان [٨]: " استثنى منها: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا . . .﴾ إلى قولـــه تعالى: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ " . "

---

[٢] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, د . وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر, دمشق, ط٢, ١٤١٨ه, (٤١/٢٩) .

[٣] التحرير والتنوير, محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ), الدار التونسية للنشر – تونس, ١٩٨٤م, (٥٧/٢٩) .

[٤] المصدر نفسه (٥٧/٢٩) .

[٥] وهو ما وَلِيَ المثاني من قصار السور, سمِّيَت بذلك لكثرة الفصول بين السور بالبسملة.

[٦] أخرجه الامام أحمد في مسنده (١٠٧/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٩) والسلسلة الصحيحة (١٤٨٠) .

[٧] البحر المحيط في التفسير, أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ), المحقق: صدقي محمد جميل, دار الفكر بيروت، ١٤٢٠ هـ, (٢٣٤/١٠) .

[٨] الإتقان في علوم القرآن, عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ),المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م, (٦٦/١) .

والمحققون: على أنها من السور المكية الخالصة" [٩] . وعدد آياتها: ثنتان وخمسون آية " فِي جَمِيع الْعدَد لَيسَ فِيهَا اخْتِلَاف وَكلهمْ لم يعد (ن)"[١٠] منها .

محاور السورة: سورة القلم تناولت ثلاثة محاور أساسية هي:

١ــ موضوع الرسالة، والشُبَه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد ﷺ.

٢ــ قصة أصحاب الجنة (البستان) لبيان عاقبة الكفر بنعم الله تعالى.

٣ــ الآخرة وأهوالها وشدائدها, وما أعد للفريقين, المسلمين والمجرمين .

ولكن المحور الأساس الذي تدور عليه السورة الكريمة هو اثبات نبوة محمدﷺ وتثبيت قلبه[١١] .

المطلب الثاني: قصة أصحاب الجنة

رُوي عن ابن عَبَّاس ﷺ في قوله عَزَّ وَجَلَّ:﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾[١٣] قَالَ:" كَانَ بُسْتَانٌ بِالْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ الضَّرْوَانُ دُونَ صَنْعَاءَ بِفَرْسَخَيْنِ، يَطَؤُهُ أَهْلُ الطَّرِيقِ، كَانَ غَرَسَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَكَانَ لِرَجُلٍ فَمَاتَ فَوَرِثَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ لَهُ، وَكَانَ يَكُونُ لِلْمَسَاكِينِ إِذَا صَرَمُوا نَخْلَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ تَعَدَّاهُ الْمِنْجَلُ فَلَمْ يَجُزَّهُ, وَإِذَا طَرَحَ مِنْ فَوْقِ النَّخْلِ إِلَى الْبِسَاطِ فَكُلُّ شَيْءٍ يَسْقُطُ عَلَى الْبِسَاطِ فَهُوَ أَيضًا لِلْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا حَصَدُوا زَرْعَهُمْ فَكُلُّ شَيْءٍ تَعَدَّاهُ الْمِنْجَلُ فَهُوَ لِلْمَسَاكِينِ, وَإِذَا دَاسُوهُ كَانَ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ يَنْتَثِرُ أَيضًا, فَلَمَّا مَاتَ الْأَبُ وَوَرِثَهُ هَؤُلَاءِ الْإِخْوَةُ عَنْ أَبِيهِمْ فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ الْمَالَ لَقَلِيلٌ، وَإِنَّ الْعِيَالَ لَكَثِيرٌ, وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يُفْعَلُ إِذْ كَانَ الْمَالُ كَثِيرًا وَالْعِيَالُ قَلِيلًا, فَأَمَّا إِذَا قَلَّ الْمَالُ, وَكَثُرَ الْعِيَالُ, فَإِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ

---

[٩] التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر ، الفجالة – القاهرة, ط١, ١٩٩٨م, (٣٣/١٥) .

[١٠] البيان في عدّ آي القرآن, عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ), المحقق: غانم قدوري الحمد, مركز المخطوطات والتراث – الكويت, ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م, (٢٥٢/١) .

[١١] التفسير الموضوعي لسور القران الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القران ـ بإشراف أ . د . مصطفى مسلم، جامعة الشارقة , الامارات، ط١, ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م , (٢٩٠/٨) .

[١٣] القلم:١٧ .

أَنْ نَفْعَلَ هَذَا . فَتَحَالَفُوا بَيْنَهُمْ يَوْمًا لَيَغْدُوُنَّ غَدْوَةً قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ فَلْيَصْرِمُنَّ نَخْلَهُمْ, وَلَمْ يَسْتَثْنُوا يَقُولُ: لَمْ يَقُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ, فَغَدَا الْقَوْمُ بِسُدْفَةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى جَنَّتِهِمْ لِيَصْرِمُوهَا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ الْمَسَاكِينُ، فَرَأَوْهَا مُسَوَّدَةً وَقَدْ طَافَ عَلَيْهَا مِنَ اللَّيْلِ طَائِفٌ مِنَ الْعَذَابِ فَأَحْرَقَهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ" [١٤] . " فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَأَشْرَفُوا عَلَيْهَا، وَهِيَ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، قَدِ اسْتَحَالَتْ عَنْ تِلْكَ النَّضَارَةِ وَالزَّهْرَةِ وَكَثْرَةِ الثِّمَارِ إِلَى أَنْ صَارَتْ سَوْدَاءَ مُدْلَهِمَّةً، لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَئُوا الطَّرِيقَ؛ وَلِهَذَا قَالُوا:﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ [١٥] أَيْ: قَدْ سَلَكْنَا إِلَيْهَا غَيْرَ الطَّرِيقِ فَتُهنا عَنْهَا . قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. ثُمَّ رَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهَا هِيَ فَقَالُوا:﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[١٦] أَيْ: بَلْ هَذِهِ هِيَ، وَلَكِنْ نَحْنُ لَا حَظَّ لَنَا وَلَا نَصِيبَ" [١٧] .

المطلب الثالث: التفسير الاجمالي للآيات الواردة في قصة أصحاب الجنة

قال تعالى:﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا

---

[١٤] معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ), المحقق : عبد الرزاق المهدي, دار إحياء التراث العربي - بيروت, ط١, ١٤٢٠هـ, (٥/١٣٧-١٣٨) .ينظر: الجامع لأحكام القرآن, أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية, القاهرة، ط٢, ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م,(١٨/ ٢٣٩-٢٤٠) .زاد المسير في علم التفسير, أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي, دار الكتاب العربي, بيروت, ط١, ١٤٢٢هـ, (٤/٣٢٣) .

[١٥] القلم:٢٦.

[١٦] القلم:٢٧ .

[١٧] تفسير القرآن العظيم, إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ), تحقيق: سامي محمد سلامة, دار طيبة, ط٢, ١٩٩٩م, (٨/١٩٦) .

تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم:١٧-٣٣].

" قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ يَعْنِي كُفَّارَ مَكَّةَ، فَإِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاهُمْ بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَالِابْتِلَاءُ: الِاخْتِبَارُ، وَالْمَعْنَى: أَعْطَيْنَاهُمُ الْأَمْوَالَ لِيَشْكُرُوا لَا لِيَبْطَرُوا، فَلَمَّا بَطِرُوا ابْتَلَيْنَاهُمْ بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ كما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْمَعْرُوفُ خَبَرُهُمْ عِنْدَهُمْ " [١٨] . ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ يَعْنِي حَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: لَيَجُذُنَّها ولَيقطَعنَّ ثَمرهَا وَقْتَ الصُّبْحِ قَبلَ أَنْ تَخْرُجَ الْمَسَاكِينُ، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، ولَمْ يَقُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ [١٩].

قال الرازي: " وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ فَالْأَكْثَرُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا لَمْ يَسْتَثْنُوا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَالْوَاثِقِينَ بِأَنَّهُمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَصْرِمُونَ كُلَّ ذَلِكَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ لِلْمَسَاكِينِ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ الْقَدْرِ الَّذِي كَانَ يَدْفَعُهُ أَبُوهُمْ إِلَى المساكين" [٢٠] . ﴿فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ﴾ "عَذَابٌ،﴿ مِنْ رَبِّكَ﴾، لَيْلًا وَلَا يَكُونُ الطَّائِفُ إِلَّا بِاللَّيْلِ وَكَانَ ذَلِكَ الطَّائِفُ نَارًا نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتْهَا،﴿ وَهُمْ نائِمُونَ﴾. ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ الأسود"[٢١]. قال القاسمي:"﴿ فَتَنادَوْا﴾ أي فنادى بعضهم بعضا﴿ مُصْبِحِينَ﴾ أي وقت الصبح، ولم يشعروا بما جرى عليهم بالليل﴿ أَنِ اغْدُوا﴾ أي اخرجوا غدوة ﴿عَلى حَرْثِكُمْ﴾ أي زرعكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ﴾ أي قاصدين

---

[١٨] فتح القدير, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ), دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت, ط١ , ١٤١٤ هـ, (٣٢٣/٥) .

[١٩] ينظر: معالم التنزيل , البغوي (١٣٨/٥), والجامع لأحكام القرآن, القرطبي (٢٤٠/١٨) .

[٢٠] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ), دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط٣, ١٤٢٠ هـ, (٦٠٧/٣٠) .

[٢١] معالم التنزيل, البغوي (٥ /١٣٨) .

قطع ثمارها، وقد قطعها البلاء من أصلها"[٢٢]. ﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ ذهبوا إليها وهم "يَتَسَارُّونَ، أَيْ يُخْفُونَ كَلَامَهُمْ وَيُسِرُّونَهُ لِئَلَّا يَعْلَمَ بِهِمْ أَحَدٌ. . وَقِيلَ: يُخْفُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَرَوْهُمْ" [٢٣]. " ثُمَّ فَسَّرَ اللَّهُ عَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَى مَا كَانُوا يَتَخَافَتُونَ بِهِ، فَقَالَ:﴿ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ أَيْ: يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تُمَكِّنُوا الْيَوْمَ فَقِيرًا يَدْخُلُهَا عَلَيْكُمْ!" [٢٤].﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ : (وَغَدَوْا) أي ساروا إليها غدوة (عَلَى حَرْدٍ) الحرد يكون بمعنى المنع والغضب والقصد، والحرد هنا بمعنى القصد لأن القاصد إلى الشيء حارد، أي على قصد وقدرة في أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم. ومعنى(قَادِرِينَ) قد قدروا أمرهم وبنوا عليه في ظنهم، وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم وعلى الفقراء[٢٥]. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ " فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوها محترقا حرثها، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غيرها: إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا، فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حُرِمنا منفعة جنتنا بذهاب حرثها"[٢٦].﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أي: أعدلهم وأفضلهم رأيا وأرجحهم عقلا ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أي: تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم، وتخشون انتقامه من المجرمين. قال أبو

---

[٢٢] محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ),المحقق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٨ هـ,(٣٠٠/٩) .

[٢٣] الجامع لأحكام القران, القرطبي(٢٤٢/١٨) .

[٢٤] تفسير القران العظيم, ابن كثير(٨ /١٩٦) .

[٢٥] ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن, أبوالطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ) تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري, المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت,١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م, (٢٦٦/١٤-٢٦٧) .

[٢٦] جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م , (٥٤٩/٢٣) .

حيان: " أَنَبَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى تَرْكِهِمْ مَا حَضَّهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ، أَيْ ذِكْرُهُ وَتَنْزِيهُهُ عَنِ السُّوءِ، وَلَوْ ذَكَرُوا الله وإحسانه إليهم لامتثلوا مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ مُوَاسَاةِ الْمَسَاكِينِ وَاقْتَفَوْا سُنَّةَ أَبِيهِمْ فِي ذَلِكَ"[٢٧] .وكان أوسطهم وعظهم حين عزموا على عزيمتهم الخبيثة، فعصوه، فَعيّرهم بذلك. وَلَمَّا أَنَبَهُمْ، رَجَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاعْتَرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالظُّلْمِ، وبادروا إلى تسبيح اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ ﴾، " أي في ترك استثناء حق المساكين، ومنع المعروف عنهم من تلك الجنة ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴾ أي يلوم بعضهم بعضا .﴿ قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ ﴾ أي متجاوزين حدود الله تعالى في تفريطنا وعزمنا السيّئ ﴿ عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها ﴾ أي بتوبتنا إليه، وندمنا على خطأ فعلنا، وعزمنا على عدم العود إلى مثله. ﴿ إِنَّا إِلى رَبِّنا راغِبُونَ ﴾ أي في العفو عما فرط منا، والتعويض عما فاتنا"[٢٨] .

" وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الْجَنَّةِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَصَابُوا مَعْصِيَةً وَتَابُوا . وَقِيلَ: كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْقَوْمَ دَعَوُا اللَّهَ وَأَخْلَصُوا، وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمُ الصِّدْقَ فَأَبْدَلَهُمْ بِهَا جَنَّةً، وَكُلُّ عُنْقُودٍ مِنْهَا كَالرَّجُلِ الْأَسْوَدِ الْقَائِمِ" [٢٩] .﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ " وقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ ابتداء مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر قريش، والإشارة بذلك إلى العذاب الذي نزل بالجنة، أي ذلك العذاب، هو العذاب الذي ينزل بقريش بغتة، ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أشد عليهم من عذاب الدنيا، وقال كثير من المفسرين: العذاب النازل بقريش المماثل لأمر الجنة هو الجدب الذي أصابهم سبع سنين، حتى رأوا الدخان وأكلوا الجلود" [٣٠] .

المطلب الرابع: ارتباط قصة أصحاب الجنة بمحور السورة

---

[٢٧] البحر المحيط, أبو حيان الأندلسي (٢٤٣/١٠) .

[٢٨] محاسن التأويل, القاسمي (٣٠١/٩) .

[٢٩] البحر المحيط, أبو حيان الأندلسي (٢٤٤/١٠) .

[٣٠] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ), المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١– ١٤٢٢ هـ, (٣٥١/٥) .

ارتباط هذه القصة بمحور السورة واضح بَيّن، فهو يؤكد صدق النبي ﷺ حيث أخبر من خلال هذه الآيات الكريمة عن طرف من غيب الماضي(قصة أصحاب الجنة) لم يكن عند النبي ﷺ منه خبر أو كتاب. فهذا المقطع من سورة القلم يثبت صدق نبوة محمد ﷺ وإلا فكيف له أن يتكلم عن قصة أصحاب الجنة التي لم يكن يعلمها ! ؟ لولا وحي الله إليه ليُثبِّتَ به فؤاده, وليُزيلَ الريب والشك عن صدق الرسالة والنبوة, بإخباره تلك القصص والأخبار الغيبية، تأكيداً وتصديقاً لدعواه. هذا هو وجه الارتباط بين القصة ومحور السورة الرئيسي [٣١].

المبحث الثاني

الابعاد الاجتماعية في قصة أصحاب الجنة

يتناول هذا المبحث أهم الابعاد الاجتماعية المستفادة من قصة اصحاب الجنة الأرضية, في جميع الجوانب والمستويات التي نستطيع استنباطها منها، ففي المستوى التربوي تتناول القصة العلاقة بين الابناء والاباء كيف تكون؟ وعلام تنبني؟ وما مدى تأثير صلاح الأب في أبنائه ؟ والتمرد على وصايا الوالدين الى أين ينتهي؟ وما نتيجته؟.

أما في المستوى المجتمعي فتطرح القصة قضية التكافل المجتمعي وأثرها في بناء الأمـــــــة وتماسكها، من خلال شعور الاغنياء بحال الفقراء، وترسيخ النموذج المؤمن والقــدوة الصالحة, التي يمثلها الأب وتحتاجها الأمــة في كل زمان ومكان، وما حال الأمـة المســلمة، والمِحَن التي تمر بها إلا نموذج حي يتطلب تكاتف أبنائها, ووقوفهم صفاً واحداً.

وأما في المستوى الإيماني فتعالج القصة كيفية التعامل مع الابتلاءات والاختبارات، فتتناول الابتلاء بالنعم والثروة، وكيفية التعامل معه، مع عدم الانجرار الى إغواء الشيطان، وعدم الوقوع في فخ الاستدراج الذي سقط فيه الكثيرون، وتقَبُل النصح من الآخر سواء كان أخاً أو أباً أو أي مسلم فالدين النصيحة, وأثر التوبة في صلاح الفرد والمجتمع.

فاقتضى المبحث أن يقسم على ثلاثة مطالب, تناول كل مطلب منها مستوى من المستويات، والدروس المستفادة منه.

المطلب الاول: المستوى التربوي: العلاقة بين الابناء والآباء

[٣١] ينظر: التفسير الموضوعي لسور القران (٣٠٤/٨).

الدرس الأول: صلاح الاباء وأثرها في دوام النعم, وإساءة الابناء وأثرها في نزول النقم.

إنَّ مِن أهم أسباب دوام النّعم وازديادها والبركة فيها الإحسانَ إلى خَلْق الله، ونجد هذا جلياً في سيرة الأب الصالح. وإنَّ من أهم أسباب زَوال النعم وحلول النّقم في الدنيا، فضلاً عن العذاب في الآخرة, الإساءة إلى خَلْق الله وظُلمهم، نجد ذلك بوضوح في تمرد الابناء, وخروجهم عن نهج أبيهم. قال تعالى:﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾[٣٢].

الدرس الثاني: أثر التوجيه الرشيد والتطبيق الميداني على الابناء.

إنّ الأب الصالح قدوة لأبنائه، وأسوة حسنة لهم, عليه أن يزرع بذرة الخير في نفوسهم، ويُنمّيها فيهم, وأن يكون فعله مصداقاً لقوله, وشاهداً حيا أمامهم, وهكذا كان صاحب الجنة الأرضية شاكراً لأنعم الله، حريصاً كلّ سنة على أن يؤدّي زكاة أمواله, فكان النموذج الحي لأبنائه, يشجعهم على فعل الخير وحب المساكين، ويُعلّمهم أن المال مالُ الله ونحن مستخلفون فيه, فكان هذا الصلاح سبباً في نجاة أبنائه فيما بعد, مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[٣٣].

الدرس الثالث: عاقبة التمرد على وصايا الوالدين في حياتهم وبعد مماتهم.

إن الأبناء أزعجهم تصدق أبيهم على الفقراء كلّ عام، ولم يَرُق لهم هذا الفعل, واعتبروه تفريطاً من والدهم برزقه ورزقهم. فقصدوا أباهم ناصحين ليعيدوه إلى جادة العقل والصواب– كما يتصورون– وقدّموا حججهم وتبريراتهم، لكنّ الأب كان يجيبهم دوماً بالرفض. فلما تُوفّي الأب, وورث الأولاد البستان، لم يتردّدوا لحظة في أخذ قرارهم الحاسم بمنع

حصّة الفقراء والمساكين. فكانت العاقبة ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[٣٤].

الدرس الرابع: الجزاء من جنس العمل.

---

[٣٢] القلم: ٣٠–٣١.

[٣٣] الكهف: ٨٢.

[٣٤] القلم: ١٩–٢٠.

لقد غاب عن أصحابِ الجنة وهم يُدبّرون ويُخطّطون لحرمان الضعفاء والمساكين أنَّ الجزاء مِن جنس العمل؛ فمَن أكرَمَ الناس أكرَمهُ الله، ومَن حرَمَهُم حرَمَهُ الله، ومَن منَعَهُم الخيرَ منعَهُ الله،﴿ فجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها﴾ [٣٥]. فاختاروا وقت الفجر، وحرصوا على التَّخاطب همساً، و بَدّلوا الطّريق﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِين ﴾ [٣٦]. فلما وصلوا الجنة تفاجأوا حين رأوها أثراً بعد عين ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [٣٧]. فالجزاء من جنس العمل.

المطلب الثاني: المستوى المجتمعي: التكافل وشعور الأغنياء بحال الفقراء.

الدرس الأول: الزكاة حق الله تعالى, ودفعها لمستحقيها واجب.

الزّكاة لم تكن تشريعاً خاصّاً بالإسلام وحده، بل صاحبت كلّ الرّسالات، واقترنت الدّعوة إليها بالدّعوة إلى الصّلاة، وهذا ما نجده في قول عيسى عليه السلام:﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [٣٨]. وعند إسماعيل عليه السلام : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [٣٩]. وكذلك جاء التوجيه لكلّ الأنبياء : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [٤٠]. وهذا ما نجده عند صاحب الجنة, فقد كان شاكراً لأنعم الله, حريصاً على تأدية زكاة أمواله كلّ عام، فيأخذ منها كفاية عائلته, وبذوره، أما الباقي فيوزّعه على الفقراء والمساكين. وهذا الفعل كان سبباً في تطهير ماله وتزكيته, وزيادة بركته، قال تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [٤١].

الدرس الثاني: الأنانية والشح والحرص أمراض تفكك المجتمعات.

---

[٣٥] الشورى:٤٠.

[٣٦] القلم:٢٠.

[٣٧] القلم : ٢٦-٢٧.

[٣٨] مريم:٣١.

[٣٩] مريم:٥٥.

[٤٠] الأنبياء:٧٣.

[٤١] التوبة:١٠٣.

قصة أصحاب الجنة الأرضية " تبرز مدى الأنانية والشح اللذين جبلت عليهما النفس الانسانية، والحرص على جمع المال, ثم مدى سطوة النفس على الغير عندما يصبح لها مركز نفوذ" [٤٢] .فهم بخلوا بما أنعم الله عليهم, وعزموا على منع المساكين حقهم. وهذا الحرص والبخل دفعهم الى هضم حقوق المساكين, ومعصية ربهم, ومخالفة أمره, فكانت النتيجة الخسران والبوار. وهؤلاء لم يكتفوا بتصميمهم على حرمان الفقراء فحسب, بل يُشهدون الله ويُقسِمون، ويتحدّون الله تعالى من غير حياء: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ [٤٣].

الدرس الثالث: التكافل المجتمعي وشعور الاغنياء بحال الفقراء .

إذا أردنا أن نبني مجتمعاً آمناً مستقراً عزيزاً يسوده الحب، ويحفُّه الأمان, ويشعر كل فرد فيه أنه جزء لا يتجزأ منه ، حيث لا فرق فيه بين غني أو فقير, ولا قوي أو ضعيف , فليكن عطاؤنا لله, وإطعامنا لوجه الله, لا نريد من ورائه جزاءً ولا شكورا, قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [٤٤]. نحن بحاجة إلى أن نؤكّد هذه القيمة في واقعنا، وأن نحرص على العطاء، وفي الوقت ذاته نحرص على حفظ كرامة الإنسان، ففقراؤنا أعزّاء، وعلينا أن لا نضطرّهم إلى مد الأيادي، فهم يَمنُّون علينا، لأنّهم جعلونا أهلاً للمعروف. بهذه الرّوح نستطيع أن نضمن سلامة مجتمعنا، لأنَّ المجتمع الّذي يصرّ على عزّته وعزّة أبنائه هو القويّ المتماسك القادر على مواجهة التحدّيات، ولن يستطيع الأعداء أن ينخروه من داخله، وهذا ما نحتاجه لواقعنا .

الدرس الرابع: العزم والعزيمة مما يؤاخذ عليه الانسان.

العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر، فإذا عزم الانسان على فعل الشر، أو على منع الغير حقه فإنه يؤاخذ عليه، وفي ما حلَّ بأصحاب الجنة من عقاب على ما عزموا عليه درس لكل فرد

---

[٤٢] التعبير القراني والدلالة النفسية, د . عبدالله محمد الجيوسي, دار الغوثاني, دمشق, ط١, ١٤٢٦ه-٢٠٠٦م , (ص٤٥٢) .

[٤٣] القلم: ١٧- ١٨ .

[٤٤] الانسان: ٨-٩ .

[45] .قال الامام القرطبي في قوله تعالى:﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾[46] , " فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَزْمَ مِمَّا يُؤَاخَذُ بِهِ الْإِنْسَانُ، لِأَنَّهُمْ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يَفْعَلُوا فَعُوقِبُوا قَبْلَ فِعْلِهِمْ" [47] .هذه ليست قصّة عابرة انتهت بانتهاء شخوصها، إنّما هو موقف يتكرَّر كلّ يوم وفي كلّ مكان. قد لا نرى مع كلّ حالة نكرانٍ وتحدٍّ لأوامر الله استعجالا للعذاب؛ لأنّ لهذا قوانين وحسابات في علم الله, قال تعالى:﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[48] .

المطلب الثالث: المستوى الإيماني: كيفية التعامل مع الابتلاءات والاختبارات.

الدرس الأول: كيفية التعامل مع الابتلاء بالنعم والثروة.

التربية الإيمانية تجعلك تصمد أمام الابتلاء، وتثبت أمام الاهتزاز, فلا تغفل أو تتحدّى، لأنّ الله عزيز ذو انتقام، وهو يمهل ولا يهمل، فإن كنت مقتدراً فتذكّر أصحاب الجنّة، واسعَ لتخرج من ابتلاء النعم والثروة فائزاً في الدّنيا ببركة وزيادة في الرّزق وفي الآخرة بالجنة. أَبرئ ذمّتك وامنح الفقراء حقّهم مما أعطاك الله من نعمه وفضله ورزقه، فهو حق لهم، فلا تبخل به, ولا تحرمهم منه,﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [49] .

الدرس الثاني: الشيطان يغوي الانسان.

الشيطان بطبيعته يغوي الانسان, وهذا هدفه وغايته, لذا حذرنا الله سبحانه منه فقال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [50] . فهؤلاء الابناء لم يَرُقْ لهم فعل أبيهم في إعطاء الفقراء زكاة أمواله كلّ عام بطيب خاطر، فسحبهم الشَّيطان إلى ساحته,

---

[45] ينظر: المستفاد من قصص القران الكريم للدعوة والدعاة ، د . عبدالكريم زيدان (٥٩٣/١) .

[46] القلم : ١٩ .

[47] الجامع لأحكام القران ، القرطبي (٢٤١/١٨) .

[48] العنكبوت:٥٣ .

[49] آل عمران:١٨٠ .

[50] فاطر:٦ .

ووقعوا في حبائله سريعاً، فحين صار الأمر إليهم والبستان بأيديهم ، وسوس لهم الشيطان سوء أعمالهم , فأخذوا قرارهم الحاسم بحرمان الفقراء من حقهم ، فكانت النتيجة ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ* فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [٥١] .فالحذرَ الحذرَ من غوايته ، فهو الذي أخرج آدم من الجنة، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [٥٢] .

الدرس الثالث: قولة الحق واجبة والثبات عليها من الايمان.

ذكرت الآيات أن أحد الأخوة أنكر عليهم قصدهم السيء في حرمان الفقراء والمساكين ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾، تكلَّم العاقل فيهم الذي نصَحَهم في بداية الأمر فلم يقبلوا نصيحته , ولم يلتفتوا الى تحذيره , و إنكاره عليهم , فقال: " ألم أنهكم عما عزمتم عليه من منع ذوي الحقوق حقوقهم، ألم أحثكم على أن تذكروا الله؟ ولكن أي أثر لذلك القول؟ إنه لم يترك أثراً حتى في نفس صاحبه، كان لزاماً على صاحب هذا القول أن يستمر على قوله , وأن يستمر على نصيحته , وأن يدوم على معارضته , ولكنه ضعف أمامهم وصاحب الحق حريٌ به أن لا يضعف" [٥٣] . فهذا الأخ الناصح يؤاخذ عليه " أنه لم يقم بما يقتضيه إنكاره عليهم، من اعتزالهم وعدم مشاركتهم في الذهاب الى البستان، وهذا منه خطأ, إذ كان عليه أن يثبت على موقفه, وأن يرفض الذهاب معهم. ووجه العبرة التي يجب أن يستفيدها الدعاة أن على المحق أن يثبت على حقه ولو كان وحده في هذا الحق ، والمخالفون له كثيرون " [٥٤] .

الدرس الرابع: التوبة وأثرها على الفرد والمجتمع.

بعد وصول أصحاب الجنة إليها, ورؤيتهم لها, وقد أضحت بلا ثمر ولا شجر, تأكدوا أنهم كانوا خاطئين ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فاعترفوا بأنهم ظلموا أنفسهم بفعلتهم تلك , ثم

---

[٥١] القلم: ١٩–٢٠ .

[٥٢] طه: ١٢٠–١٢٢ .

[٥٣] قصص القران الكريم, د . فضل حسن عباس، دار النفائس– الأردن , ط٣, ١٤٣٠ه–٢٠١٠م , (ص٧٣٥) .

[٥٤] المستفاد من قصص القران، د . عبدالكريم زيدان (١/ ٥٩٨) .

تلاوموا فيما بينهم , كل يلقي اللوم والعتاب على الآخر﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾ [٥٥] . ولكن الله تعالى أراد بهم خيرًا لصلاح أبيهم , فوفقهم إلى التوبة والرجوع إليه، فاعترفوا بذنبهم وطغيانهم، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ [٥٦]، أي : متجاوزين الحد بمنع ما يجب علينا في مالنا لمستحقيه، ومتجاوزين الحد في ترك الاستثناء، ومتجاوزين الحد في ظنهم السيئ بأبيهم. ثم إنهم مع توبتهم رجوه سبحانه ورغبوا إليه أن يبدلهم خيرًا من جنتهم التي سلبهم إياها، قالوا:﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾[٥٧]، ومن رغب إلى ربه بصدق وتاب وأناب حقق الله طلبه، وأظفره به، فأبدلهم الله خيرا منها[٥٨] .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة القرآنية مع أصحاب الجنة الأرضية, وبعد الوقوف مع دلالات الآيات الواردة فيها, والدروس المستفادة منها, نقف مع خاتمة تبين لنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

(١) إن الغاية من خلق الله تعالى للإنسان أن يبتليه في هذه الحياة الدنيا، وهذا الابتلاء قد يكون بالخير أو بالشر، ومن أنواع البلاء التي يبتلى بها الإنسان المال، فيبسط له تعالى الرزق؛ لينظر هل يشكر نعمة الله تعالى فيه فيكتسبه من حِلِه، وينفقه في مرضات ربه، أم يكون منوعاً بخيلاً.

(٢) أراد الله تعالى بهذه القِصَّة أن يقول لأهل قريش، مثلما جرَى العذاب على أصحاب الجنة سيَجري عليكم، وعلى كلِّ أمَّة تتكَبَّر وتَمنعُ حقوق الفقراء والمساكين, فمَصِيرُها كائن كمصير أصحاب الجَنَّة، وهذا عقاب الله تعالى لِكلِّ مَن بَخِل واستغنى، وأضمر الشرَّ ونوى السوء .

(٣) هذه القِصَّة رسالة من الله تعالى يُذكِّر الناس فيها أنَّ مَن ينفق مالَه في سبيل الله ويمنح حقَّ الفقراء والمساكين، فالله سيبارك له في ماله ونفسه وعِياله، كما فعَل مع الأب الصالح. وأما الغنيُّ البخيل

---

[٥٥] القلم:٣٠.

[٥٦] القلم:٣١.

[٥٧] القلم:٣٢.

[٥٨] ينظر: معالم التنزيل, البغوي (١٣٩/٥)، زاد المسير, ابن الجوزي (٣٢٤/٤) .

بأمواله، الهارب مِن إخراج زكاته، فالمحق وضياعُ المال عقوبته ، كما حصل للأبناء .

(٤) صلاح الآباء يحفظ الله به الأبناء، وعلامة ذلك أن وفق الله الأبناء للتوبة.

(٥) من ينجو ويجتاز فتنة المال قليل، فالأب واحدٌ نجا، والأبناء جَمْعٌ سقطوا في الفتنة.

(٦) الجزاء من جنس العمل، فلما حرموا المساكين حقهم بعزمهم الجازم حرمهم الله تعالى جنتهم.

(٧) العزم على المعصية ينزل منزلة فعلها، فيستحق صاحبه العذاب.

(٨) المتأمل في هذه القصة يمتلأ قلبه خوفًا من ظلم الضعفاء والمساكين, الذين لا يقدرون على انتزاع حقهم, فلهم ربٌّ عظيمٌ لن ينساهم, بل يغضب لهم, وينتقم ممن ظلمهم.

(٩) يكفي في نصرة المظلوم الضعيف علم الله ﷻ بظلم الظالم, من غير اشتراط دعوة المظلوم عليه، فهؤلاء المساكين انتصف لهم ربُّهم وهم لم يعلموا بمكر أصحاب الجنة.

(١٠) من دعا الله صادقًا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤله.

المصادر والمراجع

القران الكريم

(١) الإتقان في علوم القرآن, عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت:٩١١هـ), المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) البحر المحيط في التفسير, أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) , المحقق: صدقي محمد جميل, دار الفكر– بيروت، ١٤٢٠ هـ.

(٣) البيان في عدّ آي القرآن, عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني(ت:٤٤٤هـ) , المحقق: غانم قدوري الحمد, مركز المخطوطات والتراث – الكويت, ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٤) التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن

عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ), الدار التونسية للنشر – تونس, ١٩٨٤م.

(٥) تفسير القرآن العظيم, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ), المحقق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة للنشر والتوزيع, ط٢, ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج , د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر, دمشق,ط٢, ١٤١٨هـ.

(٧) التفسير الموضوعي لسور القران الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القران ـ بإشراف أ. د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة ــ الامارات، ط١, ١٤٣١ه ـ ٢٠١٠م.

(٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة , ط١, ١٩٩٨م.

(٩) التعبير القرآني والدلالة النفسية , د. عبدالله محمد الجيوسي, دار الغوثاني للدراسات القرانية , دمشق , ط١, ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

(١٠) جامع البيان في تأويل القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

(١١) الجامع لأحكام القرآن , أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ), تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية– القاهرة, ط٢, ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(١٢) زاد المسير في علم التفسير, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ), المحقق: عبد الرزاق المهدي, دار الكتاب العربي– بيروت , ط١ , ١٤٢٢هـ.

(١٣) صحيح الجامع الصغير وزياداته, أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني (ت: ١٤٢٠هـ), المكتب الإسلامي – دمشق.

(١٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن, أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَوجي (ت: ١٣٠٧هـ), تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري, المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ,١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

(١٥) فتح القدير, محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ), دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت, ط١ , ١٤١٤ هـ.

(١٦) قصص القران الكريم, د . فضل حسن عباس، دار النفائس– الأردن , ط٣, ١٤٣٠ه–٢٠١٠م.

(١٧) محاسن التأويل, محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي(ت:١٣٣٢ ه) , المحقق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١, ١٤١٨ هـ.

(١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ), المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١– ١٤٢٢ هـ.

(١٩) المستفاد من قصص القران الكريم للدعوة والدعاة, د . عبدالكريم زيدان, دار الرسالة العالمية، دمشق, ط٢ ,١٤٣٦هـ– ٢٠١٥م.

(٢٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل, أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ), المحقق: أحمد محمد شاكر, دار الحديث – القاهرة, ط١, ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ), المحقق : عبد الرزاق المهدي, دار إحياء التراث العربي–بيروت, ط١, ١٤٢٠ هـ.

(٢٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ), دار إحياء التراث العربي ـ بيروت, ط٣, ١٤٢٠ هـ.